الفصل الحادى عشر

المسرح التربوى ومراحل التعليم (رياض الأطفال والمرحلة الأبتدائية)

اللعب والارتجال

المعلم المسرحى . مواصفاته . وتجباته

مسرحة المنهاج

الفروق بين المجتمعات والأجيال

توصيات ومقترحات

المسرح التربوى ومراحل التعليم رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية:

إن ما يميز الأنشطة الإبداعية والدرامية فى هذه المرحلة هو اعتمادها على الألعاب الدرامية والارتجال والمواقف والمشاهد الصاخبة، وكذلك بعض المشاهد الغنائية والشعر، فضلا عن مشاركة الأطفال فى هذه الفعاليات بدون ضغط أو أوامر قسرية يرفضها الطفل بل باختيارهم ووفق رغباتهم الفطرية واستعداداتهم وميولهم على أن يميز الطفل وبمساعدة المعلم المسرحى بين الواقع والخيال الغستازى.

فالطفل فى مرحلة رياض الأطفال والابتدائية / هو المسيطر والمنظم لعمله وأدائه ولعبه، ويبقى الإرشاد والإيضاح والتفسير والمداخلة والقيادة على المعلم المسرحى، الذى يتولى فى هذه المرحلة مهمة الكشف عن الإنفعالات النفسية والأوضاع غير الطبيعية وتحد الأفكار الأخرى التى يمر بها الطفل، لأن الطفل فى هذه المرحلة له القدرة على ربط الأفكار وتماسكها، وربط الملاحظات التى يقدمها له زميله، ويمكن لهذه الفعاليات الدرامية التى تعتمد الحالات والمواقف والشخصيات المرتجلة واللعب الدرامى أن تنتقل من داخل الصف لتعم المدرسة، والممرات، والإضاءات الأخرى الموجودة فى المدرسة.

وعلى المعلم المسرحى أن يعى بأن كل طفل يجب أن يمتلك المزايا الآتية:

١- جسما صحيا ومتناسقا

٢- مرونة وقدرة على تبادل الآراء

٣- خيال خلاق وفعال

٤- الاستقلال والاعتماد على الذات

٥- المبادرة

٦- عواطف متوازنة ويمكن السيطرة عليها.

٧- القدرة على التعاون مع المجموعة

٨- مواقف صحية تجاه الأسرة والمدرسة والمجتمع

٩- إحساس بالمجال وتقدير لجمال الشكل واللون والصوت والخط، هذه المزايا تتجسد عند كل الأطفال، وواجب المعلم المسرحى خاصة فى مرحلة رياض الأطفال أن يقوم بالآتي:

١- إرتجال مشاهد درامية تعتمد على اقتراحات المعلم المسرحى.

٢- إرتجال مشاهد درامية تعتمد المناقشة الصفية بين الأطفال.

٣- يجب أن يستمر اللعب والارتجال إلى قبل نهاية المرحلة الابتدائية.

٤- يمكن اعتماد المعلم المسرحى على القصص الخيالية والأساطير والتراث الشعبى وأدب الخيال العلمى، والقصص الموجودة فى المنهج الدرامى ،وتكيفيها إلى مشاهد صفية، خاصة فى السنوات الأخيرة فى المرحلة الابتدائية.

٥- إعتماد التمثيل الصامت فى بعض المشاهد الصفية (مثل محاكاة الحيوانات وبعض المواقف الاجتماعية).

٦- فى هذه المرحلة، الطفل يعيش اللغة حركة وفعل،و لا يمكن اعتماد اللغة الفصحى فى المسرح التربوى والدراسة الإبداعية، لأنها ستقف حائلا أمام تدفق التعبير والانطلاق فى النشاط المسرحى من قبل الأطفال، ولا يغير من المزاوجة بين اللهجة الدرامية واللغة الفصحى حتى نهاية هذه المرحلة.

٧- الابتعاد عن النصوص المسرحية المكتوبة، فالأطفال لا يتقبلون هذا النوع من المسرحيات ،ولا يتمكنون من أدائها ،وينصح باللجوء إلى النصوص الحوارية البسيطة وتقديمها فى المناسبات التى تقيمها المدرسة.

٨- النشاط المسرحى فى هذه المرحلة ليس بحاجة إلى منصة أو إلى أى شكل من أشكال المسرح المعروفة، بل تقتصر ممارسته فى الصف الدرامى أو قاعة المدرسة إن وجدت .

٩- لا يمكن تبنى نظام المهرجانات الموسمية والسنوية فى هذه المرحلة، لأن الغرض الرئيسى من المسرح التربوى هنا هو بناء شخصية الطفل اعتمادا على طاقاته وقدراته الفردية الإبداعية، وليس الغرض من النشاط هو خلق ممثلين محترفين أو إنتاج عروض مسرحية.

والمرحلة الابتدائية لن نلمسها ونعززها إلا بالدراما واللعب والمسرح التربوى، ومن المهم توفير الخبرات التى تساعد الأطفال فى النمو فرديا واجتماعيا، وفى فهم وتقبل أنفسهم وأصدقائهم، ومهما تكن التجربة يجب أن نقدم الفرصة للنمو الذهنى والبدنى والروحى والعاطفى لكى نساهم فى نمو الصفات العشرة والتى ذكرناها.

وبسبب الدور الذى يلعبه الخيال فى حياة الأطفال فى هذه المرحلة، وجدنا تصنيفا لمراحل الطفولة مستندة إلى الخيال يمكن أن يعتمدها المعلم المسرحى عند انخراطه وقيادته لنشاط المسرح التربوى فى المرحلتين (رياض الأطفال - والابتدائى - وهذه المراحل هى :

١- مرحلة الواقعية والخيال المحدود بالبيئة (٣-٥) سنوات:

فى هذه المرحلة يعيش الطفل فى بيئة تتشكل من أفراد الأسرة وبعض معارفه من الجيران والأقارب والباعة فى محيطه، فضلا عن الدمى التى يلهو بها والحيوانات الأليفة التى تحيا بقربه والمؤثرات الجوية والظواهر الطبيعية الأخرى، ويتأثر الطفل بعناصر هذه البيئة مستجيبا لتأثيراتها لأنه يسعى لاكتشاف عالمه والوقوف على خفاياه.

٢- مرحلة الخيال المنطلق (٦-٨) سنوات :

يبدأ الطفل فى هذه المرحلة بالتحول من التخيل المحدود بالبيئة متجاوزا النوع الإيهامى إلى النوع الإبداعى، يتميز الطفل هنا بسرعة نمو مخيلته وبشدة تطلق إلى الآفاق البعيدة، لذا يتبلور ولعه بالقصص الخيالية، التى تخرج فى مضامينها عن محيطه وعالمه، فيحب الإنصات إلى القصص الخرافية / كقصص الجان والعفاريت

والأعاجيب، وهذه القصص تنقلهم الى آفاق بعيدة خارج حدود معارفهم دون إغفال الواقع.

٣ـ مرحلة البطولة (٨ـ١٢) سنة

ينتقل الطفل من المرحلة الواقعية والخيال المنطلق إلى مرحلة أقرب إلى الواقع، إذ يبتعد عن التخيل الجامح ويهتم بالحقائق، ويشتد ميله إلى الألعاب التى تتطلب مهارة ومنافسة، وتستهويه قصص الشجاعة والمخاطرة والعنف والمغامرة وسير الرحالة والمكتشفين.

٤ـ المرحلة المثالية (١٢ـ١٥) سنة

الانتقال إلى مرحلة دقيقة وشديدة الحساسية، ويميل إلى القصص التى تمتزج فيها المغامرة بالعاطفة، وتقل فيها الواقعية وتزيد فيها المثالية ويتشوقون للمغامرات الرومانتيكية.

ويمكن توظيف هذه المراحل بما يناسب خصائص المراحل العمرية للطفل، باعتباره الأساس والهدف الذى يسعى إليه المسرح التربوى، كذلك يمكن اعتماده تصنيفا آخر يعتمد تقنيات الدراما ووفق المراحل العمرية وكما يأتى:

تقنيات الدراما	خصائص مراحل نمو الطفل
الدراما إبداعية / التمثيل التلقائى	**خصائص مراحل نمو الطفل**
التمثيل	التقليل / الفعل
لعب الأدوار والارتجال	اللعب
لعب الأدوار	اللعب الإيهامى
الألعاب الدرامية	المناجاة / الأنا / التمركز حول الذات
	الألعاب التعبيرية
المونولوج	المناجاة / الأنا / التمركز حول الذات
الحوار	اكتشاف الآخر / العالم

ولتحقيق ما نبغيه من قيم وأهداف ومضامين ،ولما تطرقنا إليه فى الصفحات السابقة فى مرحلتى رياض الأطفال والابتدائية، وعند التخطيط لهذا النشاط الحيوى يتوجب مراعاة الجوانب الآتية من قبل المعلم المسرحي:

تعتمد الحصة الدراسية فى هذه المرحلة إن وجدت على اللعب والارتجال ،ولكى يحقق المعلم المسرحى التكامل المطلوب لهذه المادة يمكنه الاعتماد على ما يأتى :

- يحفز المعلم الأطفال على أداء الحركات الدرامية الراقصة بمصاحبة الموسيقى مستمدة من أفكاره أو أفكار الأطفال، بعد أن يقسم الصف إلى مجموعات لتشمل الحصة جميع الأطفال.
- ارتجال قصة تعتمد على بعض المواقف والمشاكل الاجتماعية
- ارتجال قصة من خلال المناقشة بين الأطفال، أو من خلال فكرة يقدمها المعلم المسرحى.

اللعب والارتجال :

إن خصائص التمثيل عند الطفل تتجلى بوضوح فى سمات اللعب، كما أن هذه العلاقة بين اللعب والتمثيل تفرض علينا أن نتبين اللعب عند الطفل، وكيف يتجلى فى خصائصه مع خصائص التمثيل، ثم هل يمكننا اعتماده لنشاط حى حركى فيما يقوم به الأطفال، ومن ثمة يكون بمثابة تعبير عن ذاتهم وفق الخصائص العمرية لكل مرحلة، مما يساعد على النمو الطبيعى، ويشبع الحاجة العقلية والجسدية والنفسية.

إن ارتباط اللعب بالتمثيل فى مجموعة من المجتمعات، بل إن التمثيل هو لعب يجعل الطفل يمارس التمثيل فى كل مراحل عمره، رغم أن لكل مرحلة نوعا من اللعب خاصا بها، الشيء الذى يجعل الطفل وبكل تلقائية يمارسه، إلا أن دور التربية يفرض التدخل من أجل التوجيه والقيادة دون المساس بالفعل الذى يقوم به الطفل، وفى هذا الإطار تأتى أهمية الارتجال، ولعب الأدوار، واللعب الإيهامى، والدرامى، والتصورى والتخلى ... إلخ، لما لها من إمكانيات فى إفساح المجال لخيال الطفل وتنمية قدرته على المعرفة الصحيحة للأطفال التى يقوم بها.

إن ما يربط نظريات التربية الحديثة والمسرح التربوى هو عنصر المشاركة، ذلك العنصر الذى يرى المربين أنه عامل مهم فى تنمية شخصية الطفل، والمشاركة فى مفهوم المسرح التربوى ترتكز على عنصر اللعب ومن هذا تنبع أهمية اللعب الذى نادى به كثير من علماء النفس" فرويد" و"سجيه" وغيرهما - إلى ضرورة استغلاله فى مختلف الأنشطة المدرسية الصفية منها واللاصفية، باعتباره شيئا غريزيا فى الطفل ،فهو يساهم فى نمو النشاط العقلى والمعرفى، وفى الوظائف العقلية العليا، كالإدراك والتفكير والذاكرة والكلام، ويؤدى إلى نضج الطفل اجتماعيا واتزانه إنفعاليا فضلا عن أن هناك وظائف أخرى للعب تحدث عنها علماء النفس، وأكثر من تحدث فى هذا الجانب هو "بياجيه" فيقول (فى اللعب يستطلع الطفل مشاعره، ويتضامن مع محادثه، أو يستزيد من استثارته، أو يحاول فهم حادث محير بتمثيلية بالتصوير، أو البحث عن تشتيت ذكرى مهمة، أو تغيير حدث يجعله مهما لنفسه فى الخيال، واللعب ذو فائدة بالنسبة للسلوك الاجتماعى فى المراحل العمرية اللاحقة للطفل، ويكون له فائدة أسرع للفرد من حيث اختزان الانطباعات وهضمها أو تخفيف حدة القلق.

ما يهمنا هنا هو مدى ارتباط اللعب بالتمثيل لدى الأطفال فى المراحل الأولى من عمرهم خاصة فى (مرحلة رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية)، فلأطفال إلى نهاية المرحلة الأخيرة لم يكتمل نموهم اللغوى بعد بحيث يتسنى لهم إدراك المعانى والأفكار التى ترد فى كثير من النصوص المسرحية، فضلا عن عدم امتلاكهم القدرة على تحليل المعانى وفرزها ثم إعادة تمثيلها، وكذلك إن التبكير بتدريب الصوت قد يكبت الطفل ويحرمه مرونة الكلام فتصبح لهجته جامدة، فيصبح الصوت غير قابل للتعديل، يعوزه الدفء والقدرة على استثارة العطف رغم دقة التعبير، وعلى المعلم أن يعطى الطفل كل الفرص الممكنة لتكوين عادات فى الكلام.

من هنا تأتى خصوصية التمثيل عند الأطفال التى يمكن تحديدها بأن التمثيل عند الأطفال يرتكز على اللعب، المحاكاة والتكرار، التجريب، التقمص والتخيل،

والإسقاط يهدف أن يكون الإنسان مدركا لمجتمعه وطبيعته، وهناك أنواع متعددة من اللعب عند الاطفال، كاللعب الإنفرادى، والرمزى، والإسقاطى، والتعاونى والاجتماعى والدرامى.. إلخ .

وفى لعب الطفل توجد لحظات يقوم فيها بتمثيل الشخصيات ،كما توجد أيضا مواقف عاطفية ،وهذا ما يجعلنا نطلق عليه اللعب الدرامى، وهذا الاصطلاح يبدو دائما مفيدا لأننا عندما نفكر فى الأطفال وعلى الأخص الصغار منهم، يجب أن نميز بعناية بين الدراما بمعناها الواسع والمسرح كما نفهمه نحن الكبار ‘فالتمثيل يوائم بين الإنطباع والتجربة السابقة، ويطابق بينهما وبين حاجات الفرد، وهذا هو اللعب، فهو تمثيل خالص يحوى حاصل المعرفة إلى ما يلائم مطالب الفرد، فاللعب والتمثيل جزء مكمل لنمو الذكاء ويسيران نتيجة لذلك فى نفس المراحل ،والأطفال فى هذه المرحلة يمتلكون القدرة على اللعب والمحاكاة والتقليد أكثر من الكبار، لأن المحاكاة تعتبر غريزة لدى الطفل فى هذا السن من النضوج الذهنى والانفعالى، خاصة الأطفال الذين ينقصهم احترام الذات، أو الذين يعتمدون على غيرهم كل الاعتماد أو الأكثر عجزا، وفى لعبهم يقلدون الكبار، حيث أن الأطفال الأكبر سنا يفوقونهم فى الخبرة، وما يمارس فى المحاكاة هو أفعال الآخرين، والحوادث التى تشاهد ويسمع عنها أكثر مما تجرب - وتعتمد عملية المحاكاة واللعب الدرامى على الارتجال ،ويعنى ذلك ترك الأطفال على سجيتهم ودفعهم فى حالات متخيلة أى تمثيل أدوار مفترضة.

والارتجال هو مفهوم يعرفه قاموس المسرح (تقنية الأداء الدرامي)، حيث أن الممثل يقوم بتقديم أحد الأدوار المرتجلة من غير أن تعد من قبل، بحيث يستغرق الممثل وهو مأخوذ فى عمله، كما يعتبر من بعض الوجوه تطبيقا فى رغبة اللعب وهو يتفق مع لعب الدور، بل إن الأخير مناسب للارتجال أى أن لعب الدور يستدعى الارتجال، ومن ثم ينسجم المفهومان فى كونهما تقنية وتطبيقا، لكن فى المسرح التربوى يقدم كمفهوم له خصوصية فى الإنجاز الفردى، لأن الهدف الأساسى فى

عملية اللعب الدرامى فى المرحلة الابتدائية هو (التطور الشخصى للمشاركين وليس إنصات الجمهور.

وهذا ما يدفعنا إلى تأكيد أن وظيفة الدراما والمسرح التربوى فى هذه المرحلة الابتدائية) ليست خلق ممثلين محترفين ،لأن الدراما الحقيقية للطفل تعتمد على الخلق من الداخل وليس الأشياء المادية من الخارج ،ففى هذا النشاط الذى ينبع عن الذات ويرتبط بالبساطة والتلقائية والارتجال فى الحركة والحوار والحدث -لا ينصح باستخدام متعة المسرح المعروفة ،ولا باستخدام النصوص المعدة والمكتوبة بفرض تمثيلها، بل تستخدم القصة موضوعا للتعبير التلقائى ،وترك الأطفال يتحركون فى كل أنحاء الغرفة ،ويكون دور المعلم الصقل والتوجيه فقط، يعنى أن المكان الحقيقى لممارسة النشاط الدرامى هو ساحة المدرسة وغرفة الدرس، والعنصر الأساسى لهذا النشاط هو الارتجال لأن الهدف من الحصة المسرحية إعداد تجربة منوعة يعيشها الأطفال بحيث يصبحون هم أنفسهم موضوع العملية التعليمية، فبواسطة تمثيل الدور والارتجال يقوم المعلم بوضع الأطفال فى حالة متخللة يتمكنون بواسطتها من اكتشاف المواقف وفهم مشاعر الآخرين

وتستمر عملية اللعب والارتجال مع النمو اللغوى لدى الأطفال وصولا الى السنة الأخيرة للمرحلة الابتدائية، ففى سن العاشرة والحادية عشرة يصبح اللعب متأصلا ومستقرا ،ويمكن الاقتراح على الأطفال موضوعات مستمدة من القصص الخرافية والأساطير العالمية، فهذا يمهد لهم الطريق لتذوق الأدب، فهم قد ألفوا القصص فعلا من دروس القراءة، مع استبعاد فكرة الاتصال بجمهور، لأن الاتصال بجمهور يخرج عن طاقة معظم الأطفال والشباب، أما المحاولات لغرض الاتصال غالبا لا تقود إلا إلى التصنع وتدمر كل قيم الخبرة المرجوة، فالطفل يتميز بالحركة الدائمة مستخدما بذلك ذاته كلها فى اللعب الدرامى، والارتجال يأخذ على عاتقه مسؤولية القيام بدورها، ويميل الى استخدام الصوت والحركة الجسدية، وينمى صفة الأخلاق فى الطفل حيث أنه يثق ثقة فى الدور الذى يقوم به ،وهو لا يتقن استخدام الموسيقى والإيقاعات المناسبة.

فى أثناء ممارسة الأطفال عملية اللعب والارتجال سواء على نحو متقطع أو مستمر قبل نهاية المرحلة الابتدائية، أى عند بلوغ الأطفال سن (الثانية عشرة) يكون الأطفال قد اكتسبوا القدرة على الاضلاع فى أى دور يقومون به ،كما يكونون قد اكتسبوا القدرة على الأداء الحركى الأكثر جمالا، والإطلاق السهل التلقائى فى الكلام الأمر الذى إذا قارناه بالنصوص المكتوبة تكون المقارنة بين الحياة والموت، فضلا عن أن جميع محاولات الأطفال لتمثيل روايات كتبوها هم بأنفسهم كانت مخيبة للآمال، فالطفل الصغير لا يستطيع أن يكتب حوار بسهولة، على الرغم من أنه قادر تماما على أن يحاور شفويا ،والطفل بحكم عدم مقدرته على فهم وتحليل المعانى والتعبير عنها لا يقدر على الاندماج بالدور الذى يؤديه، فضلا عن وجود المتفرجين فى هذه الحالة سيخلق لديه الخجل والخوف والارتباك ،مما يجعله يتلو الحوار فى حين يحلق بالجمهور الموجود فى الصالة، وليس لهذا أى قيمة تربوية للمسرحية.

المعلم المسرحى مواصفاته، واجباته

يخبرنا تاريخ المسرح بأن بداية نشأة الدراما كانت تعتمد اعتمادا كليا على المؤلف ابتداء بـ "ثيبس" وحتى بداية عصر النهضة، أى أن المؤلف الدرامى هو الذى يتولى مهمة الإخراج المسرحى ،ويشترك فى التمثيل ويضع التصاميم ويتولى قيادة الفريق المسرحى إلى يوم العرض.

واستمرت سيرة المؤلف على كل جوانب ومتطلبات المسرحية من تأليفها انتهاء بعرضها إلى عصر النهضة كما أسلفنا، حيث انتقلت السيطرة إلى الممثل فأصبح الممثل يتولى كل ما ذكرناه آنفا إلا تأليفه المسرحية، بل فى هذا الباب أصبح الممثل يسئ إساءة إلى المؤلف (الأب الشرعى للفن) معتمدا بذلك عمليات التغير والحذف والإضافة بما يناسبهم وعدم تقبل الجمهور للعرض ،وكذلك انسجاما مع (النزعة البرجوازية والإقطاعية) التى كان أغلب الممثلين فى عصر النهضة يتصفون بصفاتها.

والأدب المسرحى ملئ بالشواغر عن فعلة الممثلون فى تلك الفترة (بالنص الأدبى للمؤلف)، ثم فى منتصف القرن ظهر إلى الوجود الفنى عنصرا جديدا اسمه

(المخرج)، وأول من أطلق عليه هذا اللقب هو الدوق "جورج الشالاى فى سايكس مانغن فى المالايا" وفى هذا التاريخ وما تلاه تحولت عصا القيادة الفنية إلى المخرج، فأصبح سيد العمل المسرحى بكل ما تعنيه الكلمة ،بل تطور مفهوم السيادة الفنية إلى لقب (الدكتاتور) خاصة فى القرن العشرين، بحيث أصبح يفعل فى النص ما يحلو له من تفكيك وبعثرة وتحويل عن الدلالات والرموز والمعانى المتضمنة فى (النص الأدبى للمؤلف)،وتقديمها أفق الطروحات المتبناة من قبل المخرج، وقد كثر المخرجون، وتعددت التيارات والأساليب الإخراجية، ثم كثر الأتباع والمريدون فى كل أصقاع العالم، ولا يمكننا هنا أن نحصى عدد المخرجين، ولكن نشير الى أبرزهم فى القرن العشرين "اوولف آبيا ركوردن كريج"،" ستافلامسكي"،" ارتو"، "بريخت"، و"كروتوفسكي" - و"بيتربروك أغرين") واصبح لكل واحد فيهم طريقته والتنظيم.

دكتاتورية المؤلف - - - - - - دكتاتورية الممثل - - - - - دكتاتورية المخرج.

لكننا تطرقنا لحد الآن عن (المؤلف والممثل والمخرج) فما علاقة (المعلم المسرحى بهولاء ومن هو، وما هو أسلوبه ومواصفاته، وما هى الواجبات الملقاة على عاتقه وكيف يتسنى له تحقيق أهدافه التربوية والفنية والأخلاقية والاجتماعية؟

بذا نقول أن مفهوم (المعلم المسرحي) ظهر حديثا وكان متزامنا مع ظهور مفهوم المسرح التربوى منذ منتصف خمسينات هذا القرن، وقد أطلق عليه تسميات عديدة منها (القائد، الرائد، الموجه، المرشد، المنظم، المدرس، المعلم الخ)، وقد استخدمنا مصطلح (المعلم المسرحي) ذلك لاتصاله الرقيق بالعملية التربوية والفنية فى نفس الوقت، فهو وكما تخبرنا المصادر والدراسات المتخصصة يجب أن يكون (مؤلفا ومخرجا وممثلا) ،فضلا على الصفات التربوية التى ذكرناها، لكن عليه الابتعاد عن المواصفات التقليدية للمخرج ،لأن هدفه الأساسى نقل ليس المعرفة بقدر ما هو إزاحة الستار عن الطاقة الروحية للطفل وتطويرها، وعليه أن لا يؤمن بالأوامر التربوية الدغماتية، بل السعى بدون علم الطفل لقيادة النشاط الطبيعى له وتوجيه

النمو الروحى واللغوى والإبداعى للطفل، فكثيرا ما أفسد (المخرج التقليدى فى مسرح الأطفال والمسرح المدرسى المتعارف عليه) التصرف فى الطاقات والمهارات والخبرات الإبداعية والعفوية للطفل ،بل وفى أحيان كثيرة يعمد هؤلاء المخرجون ومن حيث لا يشعرون إلى إفساد الاستعدادات الفطرية والتلقائية بدلا من تهذيبها وصقلها ونحتها باتجاه التربية الشاملة والنمو الكامل لجميع الأطفال، ومرد هذا هو الفهم الخاطئ للأساليب التربوية الحديثة وإلى البناء الفنى التقليدى الذى تلقاه فى المعاهد الفنية التى ساهمت إلى حد ما بتكريس هذا الفهم الخاطئ ،وكذلك ندرة الدراسات والبحوث المتخصصة فى هذا الميدان فى الوطن العربى.

ويمكن تحديد دور المشرف المسرحى من خلال التعريف الذى أورده مؤتمر مسرح الطفل عام ١٩٥٥ فقد جاء فيه (فى الدراما يقوم الأطفال بإرشاد مدرس أو قائد تربوى ذو خيال خصب يخلق المشاهد والمسرحيات وتمثيلها بحوار وأداء مرتجلين).

إن المفهوم المسرحى وحده الذى يعرف ما يحتاج إليه الطفل، فليست هناك أى قوانين استبدادية مشروطة فى الدراما الإبداعية والمسرح التربوى تفرض ماذا يجب أن يفعل المعلم، لان الأطفال كما هو معروف لا يتقبلون القواعد والشروط لألعابهم، بل إنهم يبتكروها بأنفسهم دلالة على حاجتهم الأساسية ،فضلا عن أن الأطفال يعالجون بمهارة فائقة وإحساس شديد الظاهرة الخارجية لتطويعها فى خدمة حاجاتهم الداخليةز

إذن فهناك وجه إبداعى فى عملية استيعاب التجارب والمواقف والحالات، لأن الكائن البشرى يواجه دائما الحاجة ليس فقط إلى امتصاص التجربة التى قد تتضمن عملية كبرى من التنظيم، بل لتطويرها وفقا لحاجاته الشخصية والاجتماعية فى نشاطه وسلوكه، ولهذا فقد يكون من الحكمة أن يبدا المعلم المسرحى بدروس مدتها (٣-٥) دقائق فى الدراما الإبداعية ،بمناقشة عامة حول أحد المواضيع الاجتماعية التقليدية، أو استفزاز مخيلة الأطفال للإفصاح عن ميولهم ورغباتهم وحاجاتهم

والضغوط التى يتعرضون إليها ومن ثم تطوير الحصة وفقا لمتطلبات الحالة الجديدة أو الموقف المكتشف، لأن الهدف الرئيسى للمعلم المسرحى وللدراما والمسرح التربوى هو الاهتمام التام والمتفانى بالأطفال بغض النظر عن القدرة الأكاديمية والمواهب، فالمعلم له حرية اختيار الأسلوب والطريقة من الزاوية التى يراها أكثر ملائمة لرغبات وميول الأطفال / لهذا السبب فقد تم إهمال العديد من القوانين والتقاليد المهنية الخاصة بالمسرح وبالتعليم.

فى المسرح التربوى على المعلم أن يوطد الثقة بينه وبين الأطفال، ويمد جسور المحبة والآلفة والرعاية بينه وبينهم، فهو ليس معلما تقليديا ولا يعمل فى مهمة تقليدية، بل إنه المخطط والقائد التربوى وفق وصف (علم النفس السبرنيتي) فى واقع تربوى لازال يتصف وفى كثير من جوانبه بالتقليدية والاستبدادية والعصر الذى يفرضه النظام التعليمى الحالى فى أقطارنا العربية.

فعلى المعلم أن يبدأ نشاطه الخلاق عندما يجد نفسه على استعداد تام وثقة مطلقة بالمهمة الخطيرة التى يتصدى لها، وأن يتحاشى الزخرفة والتزويق والفبركة الكلامية التى ليس لها علاقة باهتمام الأطفال وبناءهم الروحى والجسدى واللغوى والاجتماعى، عليه أن يصف فكرته تبعا لتقبل الأطفال وتماشيا مع رغبتهم وتقبلهم واستعدادهم الفطرى ومراحلهم العمرية، وبما أن عمله هو المراقبة والتوجيه والتحكم والقيادة فعليه أن يعى تماما متى يبدأ وكيف ينتهى وأين يمكن ان ينهى الحصة الدراسية.

وقد يتجسد هذا فى رواية قصة ما، أو مناقشة بسيطة للسلوك المناسب فى مواقف معينة أو عن إحدى المشكلات التى تواجه أحد الأطفال أو المدرسة، أوو إحدى الحالات الاجتماعية، أو الظواهر العلمية والأدبية المستمدة من المنهج، أو من محتوى رسالة آو نص ادبى، الخ. دائما على المعلم المسرحى أن يذكر نفسه أن ما يهتم به هو تنمية كل جانب من جوانب النفس البشرية المتعددة الوجوه.

ولكن الدراما الإبداعية التلقائية تتأثر بعوامل عديدة ،وعلى المعلم المسرحى أن يعيها قبل الشروع بالحصر فيها.

١- العمر : من خلال تقييم المرحلة العمرية التى يمر بها الطفل يستطيع المعلم أن يختار تحديات جديدة تحث الطفل على التقدم.

٢- القابلية : العقلية والعاطفية والاجتماعية واللغوية للأطفال ومراعاة حسن استخدامها وتوجيهها.

٣- كيفية استخدام الفضاء، كالساحة، الممرات، قاعة الدرس... الخ.

٤- إمكانية الأطفال على الفهم، المتابعة، الحركة، الاستعداد، وكذلك بالنسبة لتدريس قيادة المجموعات.

وهناك مجموعة من النصائح يقدمها "بتسرسليد" للمعلم المسرحي:

١- أن يكون فنانا ومبدعا، لأن لكل مدرسة ظروفها وبيئتها مع اعتبار الأمور المشتركة للأطفال.

٢- حساب سن الأطفال، ومعرفته بالطفل والمدرسة، والمبادئ الأساسية للمسرح التربوى والدراما الإبداعية.

٣- المراقبة والتوجيه، مع مراعاة تدفق النشاط بطريقة جيدة

٤- عدم الإسراف بالاقتراحات التى تضيع من إبداع الطفل.

٥- الاهتمام بأوضاع الطفل المختلفة وقوته وضغطه ومحاولاته، ويشاركه فى سروره ويراقب نجاحه وفشله.

واجبات معلم المسرح التربوى :

يحدد لنا :محمود الشتبوي" أهم الواجبات التى يقوم بها معلم المسرح التربوى ومنها:

١- خلق الحالة أو الحدث الذى يعطى الطالب فرصة للتعبير عن الناس ويشركه فى نفس الوقت فى عملية تربوية.

٢- اختيار الموضوع الذى يهم الطفل ويدفعه إلى المشاركة.

٣- اختيار الأنشطة أو طرح الأوامر التى يستطيع الأطفال تنفيذها وتفيد توسيع مداركهم.

٤- تعميق تفكير الطفل وشحن القدرة الإبداعية لديه.
٥- ملاحظة المواقف التى من شأنها تنمية التفكير الذهنى عند الطفل وتجنب تلك التى تضر بالعملية التربوية.
٦- تغذية المعرفة التى يكتسبها الطفل بأنشطة مسرحية أخرى وتمارين المتابعة.
٧- تشجيع التفكير الذاتى والتقويم عند الطفل.
٨- معرفة الأطفال وكسب ودهم وثقتم
٩- أن يتحلى بالموضوعية، ويبرز معالم نجاح أو فشل التجربة.

إن أهداف المسرح التربوى وتحقيقها تتعلق (بالمعلم المسرحي) الذى يجب أن يلم، بطرق التدريس الحديثة، وعلم نفس الطفل وبوسائل الاتصال، والمدارس اللغوية والفنية والأدبية ،كما عليه معرفة طرق الإخراج وتياراته ومذاهبه واساليبه، والتمثيل، والتصميم والديكور، والمتعلقات الفنية الأخرى، والرقص والغناء والعزف، بل بعبارة أخرى عليه الإلمام بكثير من العلوم والمعارف والقوانين التربوية والفنية والفكرية حتى يتسنى له قيادة التجربة الدرامية الخلاقة لدى الأطفال وتنميتهم تربية شاملة وكاملة.

مسرحة المناهج

يمكن أن يعتمد المعلم المسرحى على المناهج الدراسية فى المرحلة الابتدائية ليشكل منها مشاهد مسرحية مرتجلة أو عروض مسرحية قصيرة أو صامتة فى المرحلة الابتدائية، لغرض تعزيز التعليم مع مراعاة تكييف العرض المرتجل أو العرض المسرحى الحوارى لمدارك الأطفال وحسب مراجلهم الدراسية، لابد أن يراعى المعلم مطابقة الحركة للحوار خاصة فى العروض المسرحية الحوارية حتى يتسنى للأطفال تفسير الكلمات واستخراج معانيها الحية الحقيقية، ولكى يكون العرض المسرحى واعى ومقصود، أى أن نعمل على تحويل رودود الأفعال الى أفعال.

ويمكن القيام بتطبيق دراسى تربوى بسيط لمساعدة الأطفال الصغار لفهم الكلام وذلك عن طريق أسلوب يتكون من المراحل الآتية:

١- أن يرى ويسمع ويشم ويلمس ويتذوق

٢- أن يفكر بما أحس به

٣- ان يتكلم معبرا عن إحساسه

كذلك يمكن تحديد الشروط لاختيار القصة الممسرحة عن المنهج التى نبغى تمثيلها بما يأتى :

١- تكون مثيرة للعواطف .

٢- أن تحتوى على الفعل الذى يثير الانتباه والمتعة.

٣- أن تكون ذات بناء متصاعد للأحداث باتجاه الذروة.

٤- أن تكون المسرحية شخصيات حية وحقيقية ومتحركة ومفهوم وممتعة.

وسوف نتطرق فيما يأتى إلى نموذج عن كيفية إعداد النصوص المسرحية فيما يخص حقل المواد العلمية؟

مسرحية المواد العلمية

يمكن استغلال المبادئ التى تنطلق منها مختلف العلوم والظواهر الطبيعية التى يتضمنها المنهج الدراسى وارتجال مشاهد مسرحية حوارية أو صامتة حولها ومن هذه الظواهر:

الفصول الأربعة، تساقط الأمطار، سريان التيار الكهربائى، إنطلاق الطائرات والصواريخ، تكاثر الحيوانات، القوة المغناطيسية، النقل والتوازن، الأوانى المستطرقة، جاذبية الأرض، وغيرها.

تطبيق:

عندما يريد المعلم أن يوضح للأطفال كيفية سير التيار الكهربائى ،يطلب من الأطفال أن يتحلقوا بدائرة ويدبون بأقدامهم الواحد بالآخر على طول خط الدرائرة، وهذا يعنى أن الدائرة الكهربائية مستمرة، ويمكن أن نقطع الدورة

بخروج أحد الأطفال من الدائرة أو الحلقة. ويمكن تطبيق قوة الجذب المغناطيسى بتقسيم الأطفال الى مجموعتين واحدة جاذبة والأخرى مجذوبة.

تمارين للأطفال :

يمكن للمدرس المسرحى أن يوزع الأطفال إلى مجموعات، ويطلب من كل مجموعة أن تبتكر موضوعا معينا أو قصة ،ومن ثم تنفيذها بواسطة التمثيل الصامت مع الموسيقى أو بدونها ،أو أن يقص لكل مجموعة قصة أو حادثة معينة ويطلب تجسيدها بالتعبير الجسدى، وعليه أن يبدا العمل فى النواحى التى تحس حواس الأطفال مباشرة، كأن يطرح عليهم :تخيلوا أنفسكم على شاطئ رملى فى فصل الصيف وهم فى الشتاء حيث البرد القارس. وبعد إجراء التمارين يفتح المدرس باب المناقشة والحوار والنقد الذاتى أو نقد الأطفال لزملائهم لكى يتحاشى الأخطاء، كما عليه أن ينوع من تمارينه ومشاريعه لكى يبعد الملل ويوسع الإدراك عند الأطفال.

تمارين للمجموعة :

- يقوم الأطفال بتمثيل صامت لالتقاط محار من ساحل البحر ويحتفظون فى علب .
- يقوم الأطفال بإطعام بط وأوز فى بركة ماء أو فى النهر.
- يقوم الأطفال بتمثيل صامت لعملية جلب حطب ووضعه على نار مشتعلة.
- يقوم الأطفال بتصفيف المناضد والكراسى من الغبار الذى عليها بدون أداة.
- يقوم الأطفال بتمثيل صامت لعمل (ساندويجات) لزملاءهم الآخرين.
- يقوم الأطفال بتمثيل عملية بناء بيت بالآجر.

تمارين للطفل بمفرده:

- يقوم الطفل بتمثيل عملية إدخال خيط فى ثقب الإبرة
- يقوم الطفل بتمثيل عملية كتابة رسالة الى أبيه
- يقوم الطفل بتمثيل عملية ترتيب زهور فى المزهريات

- يقوم الطفل بتمثيل عملية نشر الملابس على الحبال لتجف
- يقوم الطفل بتمثيل عملية عبور مجرى مائى بعد وضع صخور يخطو عليها
- يقوم الطفل بتمثيل عملية ليس قبعات فى مخزن لبيع القبعات
- يقوم الطفل بتمثيل عملية تنظيف الأسنان بالفرشاة
- يقوم الطفل بتمثيل عملية رسم لوحة زيتية
- يقوم الطفل بتمثيل عملية كتابة رسالة بالآلة الكاتبة
- البحث عن خاتم مفقود بين الأعشاب
- جمع قطع مزهرية مكسورة من على الأرض بعد أن قام الطالب بكسرها
- محاولة وضع الشر شف على المنضدة فى الحديقة وفى يوم عاصف
- قراءة رسالة من صديق عزيز يخبرك باعتذاره عن المجئى لدعوة
- محاولة ربط رباط العنق وتمشيط الشعر وإصبعك مجروح

تمارين لتحريك الحواس

- الإصغاء إلى الطيور وهى تغنى فى صباح يوم مشمس
- المشى قرب محل لصنع الحلوى والكعك
- محاولة شرب دواء مر كالعلقم
- المشى فى سوق لبيع السمك فى يوم حار
- المشى فى غابة جميلة وسمع فجأة صوتا غريبا صوتا غريبا، تنويع فى الأصوات المسموعة
- التحسس بحرارة الشمس فى يوم صيف فى الصحراء.

الفروق بين المجتمعات والأجيال:

إذا سألت طفلا: ماذا تشكل لك الروضة أو المدرسة؟ وماذا يشكل المنزل؟ فلعل الاجابة لاتتعدى أن تكون: إننى أذهب إلى الروضة أو المدرسة لأتعلم فيها! ! أما المنزل فهو يشكل لى مكاناً للراحة والاستقرار واللعب.

ومن المفروض أن يدرك كتاب المسرح المدرسى والحكومى أن مسرح الطفل هو تجربة نفسية (سيكولوجية) كالإجابة التى نتوقعها من الأطفال. وهناك حقيقة لابد أن نذكرها وهى أن مسرح الأطفال أعمق تأثيرا فيهم من أثر مسرح الكبار فى مشاهديه بصفة عامة.. وبذلك فإن أى أثر سلبى لا يدركه الكاتب أثناء تأليف المسرحية للأطفال قد يحدث آثارا فى نفسيتهم لايتخيلها المؤلف ،من هنا كانت الصعوبة الكامنة فى الكتابة لمسرح الطفل، لأنه يفترض فى المدرسة حينما يقوم المعلمون بتدريب الأطفال على تمثيلية معينة، أن يمتلك المعلمون المهارة اللغوية التى يفهمها الطفل.

وهذا يؤدى بنا إلى قضية المترجمات فى المسرح الحكومي، إذ لابد من اختيار النصوص التى تلائم طبيعة أطفالنا الصغار سواء على مستوى المضمون التربوى أو الشكل الفني، فليس كل ما يقدم على مسرح الأطفال فى الخارج يصلح لمسرح أطفالنا، وبصفة عامة فإن مصر تزخر بتاريخ طويل وموروث شعبى غزير لابد من استغلاله فكريا وفنيا، فالطفل ليس على استعداد للاقتناع بأى شيء يقدم له وهو وما يتصوره كثيرون، خاصة أطفال القرن الحادى والعشرين الذين يتعاملون مع الحاسب (الكمبيوتر والانترنت) والأجهزة التقنية (التكنولوجية) المعقدة، ولن يتقبلوا أى نص مسرحى يشعرون فيه بالاستهانة بعقولهم وتكنولوجيتهم، فإذا كانت القيم الإنسانية الراقية كالعدل والصدق والشجاعة والأمانة.. ألخ، لاتتغير بتغير الزمن، فإن طريقة تخزينها تكنولوجياً سهلة ويستطيع الطفل اكتسابها. أما تجسيدها دراميا فى النص المسرحى سواء فى المسرح المدرسى أو الحكومى، فإنها تختلف من عصر لآخر، فما كان يتقبله الطفل فى الستينيات قد يرفضه طفل عام ٢٠٠٠م، فعلى سبيل المثال، إذا أردنا تجسيد لعبة شعبية قديمة (الدراما الاجتماعية) فلابد من مزجها مع التقنية الحديثة، وهنا تساعدنا الدراسات النفسية (السيكولوجية الجديدة) فى محاولات الوصول إلى عقل الطفل وقلبه.

ويتحتم على وزارة التربية والتعليم والثقافة فى مصر والمتمثلة فى قطاع الأنشطة أن تختار عددا من الكتاب المتميزين فى مجال مسرح الطفل المدرسي، وأن تكون

خطتهم اليومية والفصلية والسنوية تجسيد القيم المرغوب فيها بالميدان التربوى والتى تثير إحساس الدفء والإشباع العاطفى لدى الأطفال ، ولكن بأسلوب ناضج يصل إلى مسرحة المناهج الدراسية والدراما الاجتماعية والفن المسرحى عن طريق الإشباع العقلى وتنمية الفكر وتوسيع المعرفة وتعميقها، ذلك أن الإشباع الفنى الذى هو بمثابة التوازن النفسى لا يغنى عن الإشباع العقلي، فكلاهما دعامة ينهض عليها البناء الناضج لشخصية الطفل.

والسؤال الذى يطرح نفسه: كيف يمكن للمدارس أن تثير اهتمام الأطفال بالمسرح المدرسي؟

الإجابة: هى أن الأساس الذى يمكن أن تبنى عليه المدارس خطتها حتى يدخل المسرح فى مجال اهتمام الأطفال ،هو أن تجعل المدرسة المسرح جزءا من البرنامج المدرسى وتقديره، فيخصص المدرسون له وقتا وفسحة (ركنا) من الصف، أو فى الهواء الطلق أو فى الإذاعة المدرسية أو مسرح المدرسة أو فى أى مكان يراه الأطفال مناسبا للقيام بالتمثيل ، بل على المدرسين غرس هذا الفن لما يحويه من جمال فى المعنى، والأسلوب، والصور، والخيال .

\والمدرسون على الطريقة الحديثة يقدمون التشجيع والجوائز لأفضل مخرج ومنتج وممثل، بل يقومون بتسجيل المسرحيات على أشرطة فيديو وما شابهه حتى يستمع إليها الأطفال كلما أرادوا، ولم تعد الجوائز تقدم على الإنتاج والتمثيل والإخراج لمجرد حالة وقتية. وأهم من ذلك كله أن يحمل المدرس للمسرح محبة وتقديرا فى نفسه فيفيض من هذه المحبة على أطفاله (وإلا ففاقد الشيء لا يعطيه!) .

ويمكن لمسرح الطفل الحكومى أن يقدم مناهج مكملة للمسرح المدرسي، سواء كانت مناهج فكرية وفنية لإعادة النظر فى أسلوب التعليم القائم فى دولتنا، والذى يولد أجيالا ونسخاً متماثلة أو مكررة (كربونية) لا تعى أبعاد واقعها، بالإضافة إلى أسلوب التربية الواقع تحت القهر السلطوى من الكبار فى البيت أو المدرسة، وهو ما

يؤدى إلى تعطيل ملكات الأطفال ووعيهم، ويعوق قدراتهم على التفكير المبدع الابتكارى الخاص بهم..

توصيات ومقترحات :

١ - الرقابة الذاتية من المعلمين والكتاب لأنهم آباء قبل كل شيء ومسؤولون ذاتيا.

٢- الرقابة المسرحية من الإدارات المدرسية وقسم الأنشطة فى وزارة التربية، بالاضافة إلى الرقابة المسرحية من وزارة الإعلام ودورها فى توجيه القيم والاتجاهات لخدمة القضية التربوية والاجتماعية مع ملاحظة النقاط التالية:

١- ضرورة وجود مسرح لكل مدرسة على مستوى الدولة (مدن ـ مناطق نائية).

٢- ضرورة وجود مسرح للأطفال تتبناه الدولة.

٣- أن تقف وزارة التربية ووزارة الإعلام من المحاولات الجادة موقف المتعاون مع توفير الإمكانات لكى تقلل من الاخطاء الفنية.

٤- يجب أن نفرق بين مسرح الطفل المؤقت ومسرح الطفل الدائم، وذلك حين نقوم بتقييم العروض المسرحية الخاصة بالطفل.

٥- العمل على مشاركة بعض الأطفال النابهين لمشاهدة العرض المسرحى الخاص بالأطفال، وإعطائهم مساحة أكبر فى إبداء الرأي، وتكريم الأطفال والتعقيب على كل عرض مسرحى حتى يستأنس برأيهم.

٦- تشجيع المعلمين على الحضور إلى دور العرض المسرحى للأطفال، حتى يتشجع الطفل على متابعة معلميه من جهة وغرس الحب للمعلمين فى التواصل مع المسرح المدرسى والحكومى.

٧- ترك الحرية للطفل ليقول رأيه دون تدخل منا، وليعبر بلغته عن فكره ورأيه فى المسرحية المعروضة.

٨- أن نراعى فى مراقبتنا لدور مسرح الطفل غياب النجومية عند بعض الأطفال

عامة ، حتى لاتطغى النجومية عندهم، وألا يؤثر العمل المسرحى سواء المدرسى أو الحكومى على تحصيلهم العلمى.

٩- المطالبة بالتلوين فى أداء الأدوار، فتارة تكون تمثيليات تخص مسرحة المناهج والإدارة المدرسية، وتارة أخرى تشمل الدراما الاجتماعية والموروث الشعبى.

١٠- مشاركة أكبر مجموعة من الأطفال فى العروض المسرحية حتى يشمل هذا النشاط مشاركة غير المتفوقين.

وفى الختام، يجب أن تكون تجارب المسرحية الخاصة بالأطفال أكثر تأهيلاً وعمقا. ونتمنى على علماء النفس والمؤسسات التربوية المساهمة فى تنمية الخيال والإحساس الجمالى لفن المسرح الخاص بالأطفال، وكذلك تعميق القيم الاجتماعية والدينية والقومية والمثل الإنسانية العليا الضرورية لطفل اليوم أو شباب الغد.